ألفاظ الحياة الاقتصادية في نهج البلاغة (دراسة ومعجم)(*)

د . سحر ناجي فاضل المشهدي

قُسِّمت الأطروحة على جانبين (الدراسة والمعجم)، تناول الجانب الاول الدراسة فجاء على تمهيدٍ وأربعة فصول وخاتمة، أما التمهيد فكان ملامح من الاقتصاد الاسلامي، تناولت فيه معنى الاقتصاد لغة واصطلاحا ومفهومه الاسلامي وتقسيماته على رأسمالي واشتراكي ورأسمالي، ومعناه في حياة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وأما الفصل الأول فتناولت فيه (ألفاظ التجارة ومايتعلق بها في نهج البلاغة) وقسم على اربعة مباحث (الأول الفاظ المقادير والمكاييل والأوزان ومايتعلق بها في النهج، والثاني : الفاظ البيع والشراء ومايتعلق بها، والثالث ألفاظ المال والعملات ومايتعلق بها، والرابع ألفاظ ايرادات الدولة ومايتعلق بها في النهج ، وأما الفصل الثاني فتناولت فيه: ألفاظ الزراعة ومايتعلق بها في نهج البلاغة ، فجاء على خمسة مباحث ، تناول المبحث الأول: ألفاظ الأرض وتضاريسها ومايتعلق بها في النهج ، والثاني الالفاظ التي تدل على الاعمال الزراعية ومايتعلق بها في النهج ، والثالث الفاظ النباتات والرابع الفاظ وحدات قياس الارض ، والخامس الفاظ الطعام و الغذاء ومايتعلق بها في النهج ، وتناولت في الفصل الثالث: الفاظ الصناعة ومايتعلق بها في نهج البلاغة، وكان على اربعة مباحث جاء الاول منه بعنوان (الفاظ المصنوع التي تستخدم في البيت ومايتعلق بها في النهج ، والثاني (ألفاظ المشروب والمصنوع و مايتعلق بها في النهج، والثالث: الفاظ المعادن والحلي والزينة والمجوهرات ومايتعلق بها، والرابع (الفاظ عدة الحرب ومايتعلق بها في نهج البلاغة، أما الفصل الرابع فكان مجيؤه استنتاجا واستنباطا لكل مامر ذكره وحمل عنوان (الفروق اللغوية لالفاظ الاقتصاد ومايتعلق بها في نهج البلاغة) فتناول (الترادف والعموم والخصوص) وفي الخاتمة خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتي من أهمها:

• بلغ مجموع الالفظ التي تدل على الاقتصاد (١٦٨٧ لفظا) مع اشتقاقاته الصرفية المختلفة، وهذا يدل على عناية الامام بالحياة الاقتصادية، فنجده يوازن بين فئات الشعب؛ تحقيقا لمبدأ العدالة الاجتماعية .

•احتلت الفاظ التجارة المرتبة الاولى فجاءت (٨٣٤ لفظا) تصرتها الفاظ البيع و الشراء، والفاظ المال والعملات، وايرادات الدولة ، ثم المقادير والمكاييل والأوزان .

•نجد استعمال الامام علي بن ابي طالب عليه السلام لهذه الالفاظ على سبيل المجاز ، وهذا يدل على التطور الدلالي الحاصل عليها، فهو لم يرد المعاني الحقيقية، بل أغلب الالفاظ انصرف معناها الى الدلالات المجازية، ومنها لفظ (التجارة) لم يكن المقصود به عملية البيع والشراء بل المعنى المتحصل في الاعمال الصالحة و هو الثراب و الجزاء وبقية الالفاظ

كـــ(الربح، الخسارة، الرهن، السلعة، الصفقة، الغلاء، الغنى،...) و لفظ الزراعة قصد به فقد استعاره الامام لزراعة الاعمال سواء أكانت خيرا ام شرا والفاظه (الحرث، والغرس، والسقي، والحصد) قائلا: "زرعوا الغرور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لايقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الامة أحد " خ٢، فمن حارب في صفين بقيادة معاوية اعماله قبيحة توصف بالزرع من امهال واغترار بالزرع فالغرور يبحث على ملازمة القبيح واستعماله للعملات (الدينار والدرهم) للمعنى المجازي ؛ للدلالة على الذم .

•قدم الامام نظرية اقتصادية متكاملة " من اخذ مال الاغنياء واعطاءها للفقير " فمنح الحقوق وجعلها واجبات فقدم (الجزية والخراج والخمس والزكاة والغنائم والفيء) وما ذلك كله الا لفرض الضرائب لمنحها لبيت المال (او مايسمى بوزارة المالية حاليا).

•انفرد الامام ببعض الخصائص الاسلوبية فأقسم بالحب والنوى قائلا : " أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة " حتى ان الشارح ابن ابي الحديد علل ذلك بكونه من مبتكراته ومبتدعاته ، ولم نجد له مثيل في القرآن ولا في السة النبوية الشريفة، ويبدو لي انه خص الحبة بالذكر، لاعجاز الله سبحانه وتعالى وبيان قدرته العظيمة ، فصغر حجمها والشق الذي فيها يستبعد انباته من جديد، والتعجب بالصيغة غير القياسية " ويلمه كيلا بلا ثمن "استعظاما لمقالتهم او دعاء عليهم بالذم، أي: اني اكيل العلم لهم كيلا بلا ثمن لوجدت حاملا له فأضاف الويل لـــ(كيلا بلا ثمن)، وبناء (زهرة) جاء على زنة (فَعْل) و(أفاعيل) مما يدل على ان جمع العامة لـــ(زهرة) على زهور خاطيء ، والصواب (زهر)

•خاطب الناس بما يحبونه فجاءت الفاظ النباتات (الاغصان، الافنان، الاوراق، الازهار، السدر،...) بكثرة في النهج ، فهي من محببات النفوس واستراحة العيون لها بالتأمل والنظر، واستعمل بعض الالفاظ كـــ(حسك السعدان، والعظلم) للدلالة على الظلم والمرورة وصعوبة العيش وجاء ذكره لها لما يشوب الدنيا من كدر واسقام وايلام .

•كثر استعمال الامام عليه السلام للأساليب البلاغية من (تشبيه و استعارة و كناية وتقابل بالتضاد) .

ثم تناول المحور الثاني المعجم وفيه فهرسة للالفاظ الاقتصادية التي جاءت في الاطروحة .

هذه هي أقسام الأطروحة وقد غلب التحليل على مباحث الأطروحة جميعها، إذ قامت الدراسة على تحليل الأمثلة التي اخترتها من خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة لأقف على الفائدة التي أعطاها السياق ، فالدراسة كانت جامعة للجوانب اللغوية و البلاغية ؛ لأنّها مطلقة ، فوجدت الدقة البالغة في توظيف هذه الالفاظ ، ولاعجب في ذلك ؛ لأن النصوص المدروسة صدرت من سيد الفصحاء والبلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد حملت الدراسة رموزا منها (خ، ك) فحرف الـــ(خ) للدلالة على خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة وحرف الـــ(ك) للكتب والرسائل، الحكم القصار جاءت من دون ذكر للرمز، والرموز استعملت؛ لسعة حجم الاطروحة زيادة على قصر مدَّة الدراسة .

(*) اطروحة الدكتوراه، باشراف الاستاذ المتمرس الدكتور عائد كريم علوان الحريزي، جامعة الكوفة / كلية الآداب